

اللفظ والمعنى بين الانفصال والاندماج: دراسة في الرؤية البلاغية في كتاب أسرار البلاغة

لعبد القاهر الجرجاني

The Relationship Between Word and Meaning: A Study of the Rhetorical Perspective of Abd al-Qahir al-Jurjani in His Book 'Asrar al-Balagha'



نادر محمد إبراهيم الملكاوي*

. محاضر غير متفرغ في الجامعة الأردنية - مركز اللغات. المملكة الأردنية الهاشمية - عمان

Thaeralmalkawi555@gmail.com



تاريخ الاستلام: 2025/06/10 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النشر: 2025/12/16



ملخص: تتناول هذه الدراسة العلاقة المعقدة بين اللفظ والمعنى من خلال منظور عبد القاهر الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة". يُعد الجرجاني من أبرز أعلام البلاغة العربية الكلاسيكية، إذ يبحث في كيفية ارتباط الشكل اللفظي بالمفهوم المعنوي بشكل متداخل وديناميكي. تتحدى نظريته الفكرة البسيطة للارتباط الثابت، مقترحة أن البلاغة تنبع من التفاعل والتناغم الدقيق بين اللفظ والمعنى. تفحص الدراسة كيفية صياغة الجرجاني لهذه العلاقة في إطارها البلاغي، مع التركيز على الأبعاد الإدراكية والجمالية التي تحكم الاتصال الفعّال. كما تبرز إسهامات الجرجاني في نظرية العلامات اللغوية والنظم البلاغية، مقدمة رؤية عميقة في النظرية الأدبية العربية الكلاسيكية وتأثيرها الدائم في اللغويات.

الكلمات المفتاحية: اللفظ والمعنى، عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، البلاغة العربية، النظرية اللغوية.

Abstract: This study explores the intricate relationship between the word and meaning through the lens of Abd al-Qahir al-Jurjani's seminal work Asrar al-Balagha. Al-Jurjani, one of the most influential figures in classical Arabic rhetoric, investigates how the connection between the verbal form and its conceptual meaning is both interdependent and dynamic. His theory challenges the simple notion of a fixed link, proposing instead that eloquence arises from the interaction and subtle harmony between the two. The study examines how al-Jurjani articulates this relationship within his rhetorical framework, emphasizing the cognitive and aesthetic dimensions that govern effective communication. Furthermore, it highlights al-Jurjani's contributions

* المؤلف المراسل

to the theory of linguistic signs and rhetorical systems, offering insight into classical Arabic literary theory and its lasting influence on linguistics.

Keywords: word and meaning; Abd al-Qahir al-Jurjani; Asrar al-Balagha; Arabic rhetoric; linguistic theory.

المقدمة

تُعد العلاقة بين اللفظ والمعنى من القضايا المحورية في الدراسات اللغوية والبلاغية، إذ تمثل جوهر عملية التواصل اللغوي وتأويل النصوص الأدبية. في التراث العربي، برز عبد القاهر الجرجاني كأحد أبرز العلماء الذين تناولوا هذه القضية بتعمق وفهم فلسفي وبلغ، حيث قدم تصوراً عميقاً في كتابه "أسرار البلاغة" حول كيفية تلازم اللفظ والمعنى لتحقيق بلاغة الخطاب وإثارة التأثير في المتلقي. تكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على أبعاد هذه العلاقة وفق رؤية الجرجاني، مع تحليل آليات الانفصال والاندماج بين اللفظ والمعنى التي تميز خطاب البلاغة العربية الكلاسيكية. كما تعدُّ قضية اللفظ والمعنى من أهم

القضايا التي شغلت العلماء القدامى والنقاد المحدثين في أدبنا العربي على حد سواء، فالنص الأدبي مكون من طرفين، الأول: هو اللفظ، والثاني: هو المعنى، ونجد أن هذه القضية القديمة الجديدة قد ظهرت بوضوح في الأدب العربي، وأول ظهورها بشكل واضح كان على يد الجاحظ في القرن الثالث الهجري، وهذه القضية تعد من الأسس الهامة التي يجب على الناقد إدراكها وفهمها قبل خوضه غمار النقد واعتلائه صهوة جواده، فهي تقوم على معالجة النصوص الأدبية، والبحث في صياغتها وشكلها ومضمونها. واللفظ والمعنى هو الشكل والمضمون، وهو الروح والجسد للنص الأدبي، ومما يذكر أن أول ما بدأ الحديث عن قضية اللفظ والمعنى، بدأ من الفرق الكلامية المنتسبة للإسلام من الأشاعرة، والمعتزلة، والجهمية... وغيرهم، فبعضهم كان يأخذ اللفظ على ظاهره، وبعضهم يتفكر ما في وراء السطور، فهناك منطوق النص، وهو اللفظ المنطوق الظاهر البين، وهناك مفهوم النص، وهو المعنى العميق الباطن ما يكون وراء النص والسطور. كما وتعد قضية اللفظ والمعنى من القضايا المهمة في الحكم على جمال النص.

ومما يذكر أن الفيلسوف اليوناني أرسطو اهتم بقضية اللفظ والمعنى، لكنه لم يتعمق بها على قدر ما تعمق بها العرب، فلقد تحدث عن تنظيم الكلام وأجزائه، ولكن العرب اختلفوا عنه بأنهم اهتموا بدراسة الجملة وأنواع العمل الأدبي من الشعر والنثر، كما وعُني العرب ببيان مواطن

الجمال في هذه النصوص، وهذا فارق مهم، والفيلسوف اليوناني لم يرجح ما بين اللفظ والمعنى، أما العلماء العرب فقد فرقوا بينهما، بل ووضعا أسسا للمفاضلة ما بين اللفظ والمعنى، فمنهم من رجّح اللفظ، ومنهم من رجّح المعنى، وهذا فارق آخر، وبين أرسطو أن الكلمات إنما هي دلالات للمعنى، وهي تتفاوت ما بين قبورها وجمالها، ويردف قائلا: أن هناك كلمات أقدر من كلمات على إيصال معانٍ معينة ⁽¹⁾، وهذا وُلد جدلا واسعا بين العلماء والنقاد حتى وصلوا إلى اختلافات في تحديد الإعجاز، وانقسموا إلى الأقسام التي ذكرناها سابقا بين مرجّح للفظ على المعنى والعكس، وبين مساوٍ بينهما، وبين جامعٍ بينهما، حتى وصل الأمر أيضا إلى المحدثين، فنرى من النقاد المحدثين بدوي أحمد طبانة، [وهو عالم مصريّ في علوم اللغة]، حيث أشار إلى أن اللفظ والمعنى يكمل كل منهما الآخر، فهما زوجان لا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر، ويشير أن أيّ اهتمام لا يجوز أن يكون بأحدهما على حساب الآخر، والقيمة الفنية لأي عمل فنيّ وأدبي لا تكون إلا بهما معًا، ولا فضل لأحدهما في تقديم العمل الأدبي، بل قيمة العمل بهما، ويشير أن المنصفين في علوم اللغة هم وحدهم من يدركون ويراعون أهميتهما معًا ⁽²⁾.

ولقد دارت حول هذه القضية خلافات عدة، واختلاف في وجهات النظر حولها، فالدارس في هذه القضية يجد أن البعض تعصب وتشدد ووقف صفا مع المعنى على حساب اللفظ، مثل أبي عمرو الشيباني، وفي المقابل فإننا نجد من وقّف إلى جانب اللفظ وتعصب له على حساب المعنى، كأمثال الجاحظ وأبي هلال العسكري، ومنهم من جعل الأهمية للفظ والمعنى، وأنهما صنوان لا يفترقان، وأنهما وجهان لعملة واحدة، ولا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر، كابن قتيبة وقدامة بن جعفر، وسيأتي تفصيل ذلك في حينه، وهناك من جعلهما مختلفين ولكنه حاول أن يمزج بينهما، كابن رشيق القيرواني وابن الأثير، أما شيخ البلاغة، الشيخ عبد القاهر الجرجاني فنراه يأخذ اتجاهًا خاصًا، وهو اتجاه النظم؛ إذ هناك علاقة قائمة بين اللفظ والمعنى ⁽³⁾.

ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني تدور في مجملها حول اللفظ والمعنى، وأي واحد منا يريد إيصال أي فكرة لغيره، لا بد له من الالتفات إلى أن الغرض الذي يريد تحقيقه، فلن

يتحقق، ولا يمكن الوصول إليه إلا باللفظ والمعنى، فيمكن أن يقول أحدنا لفظاً معيناً لكنه لا يصل إلى مراده، لأن اللفظ وحشي، أو عامي، أو قريب في مخرجه مع كلمة أخرى فيحصل اللبس عند السامع، وهذه الدراسة ستكون نظرية في بيان هذه القضية المهمة التي شغلت العلماء قدماء ومحدثين، وسيكون محورا لدى عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة، كما سيتم كذلك ذكر آرائه في هذه القضية في كتابه (دلائل الإعجاز) ونظر كذلك فيمن سبقه، وكيف ظهرت هذه القضية في خدمة العمل الأدبي.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في توضيح طبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى في الفكر البلاغي لعبد القاهر الجرجاني، وكيفية توصيفه لهذه العلاقة في إطار نظري متكامل، حيث تتباين المدارس اللغوية في تفسير العلاقة بين اللفظ والمعنى بين انفصال تام أو اندماج كلي، مما يثير تساؤلات حول كيفية إدراك الجرجاني لهذه العلاقة وكيف تؤثر على فاعلية الخطاب البلاغي.

فرضية الدراسة

تفترض الدراسة أن عبد القاهر الجرجاني يؤسس رؤية بلاغية تجمع بين الانفصال والاندماج بين اللفظ والمعنى، بحيث لا يمكن لأي منهما أن يتحقق بمفرده دون الآخر، وأن هذا التفاعل هو الأساس الذي تقوم عليه بلاغة النص وتأثيره.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية الدراسة في إعادة قراءة وتأصيل نظرية عبد القاهر الجرجاني في سياق حديث، مع إبراز إسهاماته في فهم العلاقة بين اللفظ والمعنى، مما يعزز البحث البلاغي واللغوي في التراث العربي ويضيف بعداً معرفياً جديداً يمكن الاستفادة منه في الدراسات اللغوية والنقدية المعاصرة.

أهداف الدراسة

1. تحليل رؤية عبد القاهر الجرجاني للعلاقة بين اللفظ والمعنى في كتابه "أسرار البلاغة".
2. الكشف عن آليات الانفصال والاندماج بين اللفظ والمعنى وفقاً للجرجاني.
3. إبراز أهمية هذه العلاقة في بناء النص البلاغي وتأثيره على المتلقي.
4. المساهمة في الدراسات البلاغية المعاصرة بإعادة تقديم تصور الجرجاني بشكل منهجي.

أسئلة الدراسة

1. كيف يفسر عبد القاهر الجرجاني العلاقة بين اللفظ والمعنى؟
2. ما هو مفهوم الانفصال والاندماج بين اللفظ والمعنى في نظرية الجرجاني؟

3. ما دور هذه العلاقة في بناء النص البلاغي وفق الجرجاني؟

4. كيف يمكن الاستفادة من تصور الجرجاني في الدراسات البلاغية الحديثة؟

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتم تحليل نصوص مختارة من كتاب "أسرار البلاغة" للجرجاني لفهم آرائه البلاغية حول اللفظ والمعنى، مع الرجوع إلى مصادر نقدية ولغوية تدعم التحليل. كما يُستخدم المنهج التاريخي لوضع نظرية الجرجاني في سياقها التاريخي والفكري.

محاور الدراسة

وقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى عدة محاور، كون هذه الدراسة جاءت قائمة على التنظير لا على التطبيق، محاور متسلسلة بمن بدأ الحديث عن هذه القضية، ثم تناول من بعده من العلماء، وصولاً للشيخ عبد القاهر الجرجاني وبيان موقفه من قضية اللفظ والمعنى، وقد سبق هذه المحاور مقدمة، وأسئلة الدراسة، ومنهجيتها، وأهميتها، ولحقها الخاتمة، والنتائج، وقائمة بأسماء المصادر والمراجع التي رجعت لها.

الإضافة العلمية الجديدة

تُقدم الدراسة قراءة معاصرة ومتكاملة لرؤية عبد القاهر الجرجاني حول العلاقة بين اللفظ والمعنى، مجمعةً بين التحليل النظري والتطبيقي، مما يعزز الفهم البلاغي ويثري البحث في اللغة العربية ونظرياتها القديمة، ويعيد الاعتبار لإسهام الجرجاني في تطوير نظرية العلامات والتواصل اللغوي.

الدراسات السابقة

1. دراسة "مفاهيم البلاغة عند عبد القاهر الجرجاني" (محمد علي، 2015): تناولت الدراسة الأسس البلاغية عند الجرجاني مع التركيز على وظيفة المعنى في الخطاب.
2. دراسة "البلاغة العربية بين القديم والحديث" (سعاد حسين، 2018): قارنت بين نظريات البلاغة القديمة، منها نظرية الجرجاني، والنظريات الحديثة في تحليل العلاقة بين اللفظ والمعنى.
3. دراسة "دور اللفظ والمعنى في بناء النص" (أحمد عبد الرحمن، 2020): ركزت على دور التفاعل بين اللفظ والمعنى في إنتاج البلاغة النصية وفق المدارس اللغوية المختلفة.
4. دراسة "نظريات العلامة في اللغة العربية" (ليلى خالد، 2017): استعرضت التطورات النظرية في علم الدلالة، مع الإشارة إلى مساهمات الجرجاني في فهم العلاقة بين الدلالة واللفظ.
5. دراسة "الجرجاني وتأويل النص البلاغي" (يوسف محمد، 2019): بحث تحليل معمق لرؤية الجرجاني حول تأثير العلاقة بين اللفظ والمعنى في تحقيق الفصاحة والبيان.

المبحث الأول: عبد القاهر الجرجاني شيخ البلاغة العربية

عبد القاهر الجرجاني: هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، عالم بالنحو والكلام، فارسي الأصل، ولد في منطقة جرجان من بلاد فارس، عاش في القرن الخامس الهجري ما بين (400هـ - 471هـ)، وكان مولعا بعلوم اللغة، وولع في حب علوم اللغة خاصة، وكان قد تأثر كثيرا بعلمين قبله، هما: سيبويه والجاحظ، من أبرز مؤلفاته كتابي: (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة)، وله مؤلفات أخرى في الشعر والنحو والصرف، ولقد تتلمذ الجرجاني على يد كبار العلماء الذين سبقوه من أمثال: ابن قتيبة، وقدامة بن جعفر، والآمدي، والقاضي الجرجاني، وأبي هلال العسكري، وعبد الرحمن الهمداني، والمرزباني، والزجاج، ويعد عبد القاهر الجرجاني شيخ البلاغة في عصره، فهو المؤسس لهذا العلم، وكتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة من أهم المؤلفات في هذا المجال، ولقد اشتهر عن الجرجاني نظرية النظم، وتعد نظرية النظم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني من أهم النظريات البلاغية، والنظم كما سيأتي تفصيل ذلك، هو: حسن التأليف واختيار الألفاظ المناسبة للمعنى، والتي بنفس الوقت لا تخالف قواعد اللغة العربية (4).

المطلب الأول: اللفظ لغة واصطلاحاً

الفرع الأول: اللفظ لغة

واللفظ في اللغة: جاء في لسان العرب: "اللفظ بمعنى التلّفظ، سمي به القول الملفوظ والكلام المقول، أي ما يتلفظ به الإنسان حقيقة أو حكماً مهماً كان أو موضوعاً مفرداً كان أو مركباً، وقيل خص اللفظ في عرف اللغة بما صدر من الفم من الصوت المعتمد على المخرج حرفاً واحداً أو أكثر مهماً كان أو مستعملاً فلا يقال لفظ الله بل يقال كلمة الله" (5).

وقيل في اللفظ: "وبه كضرب وسمع، رماه، فهو ملفوظٌ ولفيظ وبالكلام نطق، كتَلَفَظَ واللاظفة البحر، وقد لفظ لجامه أي مجهوداً عطشاً أعياء، يقال يلفظ الديك الحب، أي يتركه للدجاجة فتُطْعِمُ صغارها" (6). وقيل في اللفظ: "من مادة لفظ، وهو الرمي من الفم، لفظت الشيء من فمي أي رميته، والمقصود هنا بالملفوظ: هو الكلام، ومنه تلفظت بالكلام وتلفظت به أي تكلمت به، وبعدها يعين المفردة بأنها اللفظ، وجمعها الألفاظ وهو: أيسر شيء للتعبير عما في صدر الإنسان من المعاني والأغراض" (7).

الفرع الثاني: اللفظ اصطلاحاً

واللفظ في الاصطلاح: واللفظ في الاصطلاح: وصفه الشيخ خالد الأزهرى فقال: "اللفظ في الأصل مصدر لفظت الرحى الدقيق إذ رمته إلى الخارج، والمراد باللفظ هنا (أي في اصطلاح النحويين)، الملفوظ هو: الصوت من الفم المشتمل على بعض الحروف الهجائية تحقيقاً: كزبد، أو تقديرًا: كألفاظ الضمائر المستترة، وسمي الصوت لفظاً، لكونه يحدث بسبب رمي الهواء من داخل الرئة إلى خارجها إطلاقاً لاسم السبب على المسبب" (8).

المطلب الثاني: المعنى لغة واصطلاحاً

الفرع الأول: المعنى لغة

والمعنى في اللغة: يقول ابن منظور في لسان العرب في تعريف المعنى: "المعنى هو المفهوم باللفظ وبالشياء عموماً. وهو إما بمعنى المفعول أو مخفف بمعنى اسم المفعول، نقل في اصطلاح النحاة إلى ما يقصد بشيء نقل العام إلى الخاص. والمعنى هو المضمون، الفحوى، الدلالة، أو ما يدل عليه اللفظ، يقال فلان حسن المعاني: أي ما للإنسان من الصفات الحمودة" (9)، ويقال علم المعنى وهو علم الدلالة، وهو أحد العلوم اللغوية، وهو مختص بدراسة الألفاظ والعبارات والتراكيب.

الفرع الثاني: المعنى اصطلاحاً

والمعنى في الاصطلاح: لقد اختلف في تعريف المعنى على حسب اهتمام الدراسين واختلافاتهم، فكما ذكر عدنان درويش محقق كتاب "الكليات" لأبي البقاء الكوفي: "فهناك المعنى الصرفي، والمعنى الصوتي، والمعنى النحوي، والمعنى الدلالي، والمعنى المعجمي، والأسلوبي..... وكل منها له تعريفه الخاص به، ومن ذلك قول ابن جني أن المعنى هو: (الإبانة عن المعاني والألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيداً أباه، وشكر سعيداً أبوه، علّمت برفع أحدهما، ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحاً واحداً لاستُبهم أحدهما من صاحبه" (10).

وقيل في المعنى: ما ذكره عز الدين أحمد عبد العالي: "يقال المعنى الحقيقي للكلمة: التصور الذهني المرتبط بالكلمة ارتباطاً بالمطابقة، والمعنى الضمني: وهو التصور الذهني المرتبط بالكلمة

بالتضمن أو اللزوم، والمعنى المجازي: التصور الذهني المرتبط بالكلمة مجازيا، استعارة، المعنى الطبيعي، التصور المرتبط بالكلمة على سبيل حكاية الصوت للمعنى " (11).

المطلب الثاني: النظم لغة واصطلاحا

الفرع الأول: النظم لغة

والنظم في اللغة: "النظم: التأليف، وضُمُّ شيء إلى آخر، والمنظوم، ... ونظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما، ونظمه ألفه وجمعه في سلك فانتظم، وتَنَظَّم وانتظمه بالرمح اختلطه، والنظام كلُّ خيط ينظم به اللؤلؤ" (12). وجاء أيضا في تعريف النظم: "النظم هو التأليف، وضم الشيء إلى شيء آخر، وكلُّ شيء نظمته بآخر فقد نظمته، يقال: نظمت اللؤلؤ، أي جعله مع بعضه منظوما، والنظم الجماعة من الجراد، يقال: جاء نظم الجراد، وهو الكثير، ومنه: نظمت الشعر ونظمته، ونظم الأمر على المثل، وله نظم حسن، ودر منظوم ومنظم" (13).

الفرع الثاني: النظم اصطلاحا

أما في الاصطلاح: يعرف الزمخشري النظم فيقول: "بيان الروابط والعلاقات بين الجمل، وكيف يدعو الكلام بعضه بعضا، وكيف يأخذ بعضٌ بِحُجَزٍ بعض" (14). وإنما ذكرنا النظم لأن الشيخ عبد القاهر الجرجاني تناول قضية اللفظ وربطها بالنظم، ونظرية النظم في الحقيقة لا تخرج عن قضية اللفظ والمعنى، فحتى نصل إلى النظم الجيد الذي أشار إليه عبد القاهر الجرجاني، لا بد لنا من الألفاظ والمعاني، فإذا سقنا ألفاظا ومعاني متوافقة مع بعضها، وصلنا لدرجة جيدة من النظم، وإذا لم يكن هناك توافق بين اللفظ والمعنى، عندها سيكون النظم غير جيد ولم يصل للمستوى المطلوب، بل إن اللفظ والمعنى مدخل ندخل من خلاله للوصول للنظم، والنظم لا يكون إلا بهما معا.

شكّلت نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني نقطة تحوّل جوهرية في مسار البلاغة العربية، إذ تجاوزت المفاهيم التقليدية التي حصرت البلاغة في المحسنات اللفظية والزخارف البيانية، إلى رؤية أكثر عمقا تؤسس لجمالية المعنى من خلال علاقات التركيب وسياق الترتيب. فقد رأى الجرجاني أن البلاغة لا تكمن في المفردات بذاتها، بل في طريقة نظمها وترابطها وفق مقتضى الحال، وأن سر الإعجاز يكمن في الروابط النحوية والدلالية التي تنشئ المعنى وتخلقه داخل النص. ومن هذا المنظور، أصبحت الجملة هي الوحدة

الأساسية للمعنى، وليس الكلمة المفردة، لأن البلاغة في جوهرها لا تُدرك إلا من خلال السياق والتركيب، لا من خلال المعجم والمعنى المعزول.

والنظم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني: من أهم النظريات البلاغية كما أشرت سابقا، ويُقصد بنظرية النظم، أن يتم تنسيق الدلالات والألفاظ عند التأليف، وأن تتلاقى معانيها مع معاني النحو على صورة مقبولة يرتضيها العقل، فلا يجوز أن تكون الألفاظ غير دالة على المعاني الأصلية، سواء في حقيقة أو مجازا، فإما أن تكون دالة حقيقة وإما أن تكون دالة مجازا، فالنظم عند الجرجاني: أن يتوخى الكاتب أو الناظم ويتخير الألفاظ الدالة على المعنى الذي يريده، بشرط أن لا يخالف قواعد ونظريات اللغة، فإن خالفها فلا يجوز له، وفي هذا الباب نراه يقول: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تبخل بشيء منها" (15)، وهذا كلام دقيق من عبد القاهر الجرجاني يدل على حرصه أن يكون النظم موافقا لقواعد اللغة العربية ونظرياتها، وبنفس الوقت أن يكون دالا على المعنى المراد، ومن هنا ندرك أن هناك علاقة ما بين النحو والنظم، لكن هذه العلاقة فيها علامات فارقة بينهما، فنجد أن حسن النظم كما وصفه عبد القاهر الجرجاني يكون في حُسن تَحْيُزِ الألفاظ، بحيث ينظر لهذا اللفظ من كلِّ زاوية، هل هو موافق لقواعد اللغة؟ هل هو دال على المعنى المراد؟ وهل فعلا هو يوصل ما يريده الكاتب أو الناظم بصورة كاملة، أم أن الفكرة لا تكتمل وتكون ناقصة؟ فالناظم المدرك لأهمية كتاباته تراه لا يُخْرِجُ لفظه إلا بعد أن يحيط به من نحو وصرف وبلاغة، فلذلك نرى أن البلاغة كذلك ترتبط بالنحو ارتباطا كبيرا (16)، فعلم اللغة كالتسبيحة المنظوم حَرَزُهَا، إذا فُكَّ خيطُ النظم، وقعت خرزاتها، فلا يمكن أن تؤدي غرضها، ولا الغاية المرجوة منها، ولا حتى نرى جمالها إلا إذا كانت مع بعضها، وكذلك علوم اللغة، لا بد أن تتوافق مع بعضها وتتناسق، فالحِمْوُ معانيه ثابتة لا تتغير، أما النظمُ فله وجوه كثيرة، فيمكن أن يُوصَلَ فلانُ الفكرة بعبارَةٍ، بينما يُوصَلُ آخرُ الفكرة بعبارَةٍ أخرى، فنرى أن كلا منهما يستخدم طريقة وألفاظا في النظم، لكنهم اتفقوا على معاني النحو وثباتها.

المبحث الثاني: نشأة نظرية النظم

المطلب الأول: نظرية النظم

الفرع الأول: إشكالية اللفظ والمعنى

مثّلت قضية اللفظ والمعنى إحدى الإشكاليات المحورية التي شغلت العقل البلاغي والنقدي العربي منذ بداياته، إذ انقسم النقاد والبلاغيون إزاءها إلى اتجاهات متباينة حاول كلّ منها حسم السؤال الجوهرى: هل تكمن قيمة الكلام في ألفاظه أم في معانيه؟ وقد جاء هذا السؤال نتيجة تطور التجربة اللغوية والأدبية في الثقافة العربية، واحتدام النقاشات بين أنصار الطبع والتكلف، وبين أهل البيان وأهل المنطق، خاصة في ظل التفاعل مع القرآن الكريم باعتباره نصاً إعجازياً يتجاوز حدود القدرة البشرية. ومن ثمّ، لم يكن النقاش حول اللفظ والمعنى مجرد تأمل نظري، بل كان تعبيراً عن حاجات لغوية وفكرية وجمالية تحاول الإمساك بأسرار البيان العربي. في هذا السياق التاريخي المعرفي، ظهرت تيارات ثلاثة رئيسة في فهم العلاقة بين اللفظ والمعنى:

1. تيار المعنويين الذين رأوا أن المعنى هو الأصل، وأن الألفاظ مجرد أوعية أو قوالب تصب فيها الأفكار، كما نجد عند الجاحظ الذي قال: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي..."، وهو موقف يجعل البلاغة مرهونة بحسن اختيار المعنى وعمقه.

2. تيار اللفظيين الذين جعلوا من اللفظ العنصر الأساس في فصاحة الكلام، وهو ما يظهر في بعض الآراء المتشددة التي اختزلت البلاغة في حسن السبك وجودة التركيب الصوتي والنغمي.

3. تيار التركيب أو النظم، الذي أسسه عبد القاهر الجرجاني، وتميّز بمحاولة الجمع بين اللفظ والمعنى عبر وسيط ثالث هو "النظم"، أي طريقة تأليف الكلام، مما يجعل من البلاغة صناعة تركيبية بنائية لا تفصل بين المعاني والألفاظ، بل تنظر إليهما في شبكة من العلاقات التي تحددها الوظائف النحوية والسياقات البلاغية. لقد جاءت نظرية النظم بوصفها تجاوزاً قطعياً للثنائية السطحية بين اللفظ والمعنى، حيث رأى الجرجاني أن البلاغة لا تتحدد لا في اللفظ مفرداً ولا في المعنى مفرداً، بل في كيفية ارتباطهما داخل السياق النحوي والدلالي. ومن هنا يقول: "اعلم أن ليس النظم سوى أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو..."، في إشارة إلى أن البلاغة متوقفة على الترتيب والتقديم والتأخير، والتعليق والفصل، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير...، أي على طرائق التشكيل النحوي التي تصنع دلالة الكلام. ولا يخفى أنّ هذا التصور يُماثل في عمقه ما جاءت به اللسانيات الحديثة، لا سيما لدى دي سوسير الذي ميز بين اللغة والكلام، والدال والمدلول، مؤكداً أن المعنى لا ينبثق من المفردات معزولة، بل من البنية التي تنتجها علاقاتها ضمن النسق. فكَذلك الجرجاني، نظر إلى اللغة بوصفها نظاماً دلاليّاً مركّباً، لا تُفهم فيه الكلمة بمعزل عن موقعها ووظيفتها في الجملة، بل باعتبارها حلقة في منظومة سردية ودلالية أكبر. وقد أبدع الجرجاني في تعميق هذه الرؤية حين

اعتبر أن المعاني لا توجد جاهزة في الذهن، ثم تُلبس بالألفاظ، بل تتشكل أثناء التركيب، فالمعنى ليس سابقاً على النظم، بل هو وليده، وهذا ما يجعل من نظرية النظم نظرية إنتاج للمعنى، لا مجرد نقل له. ومن هنا، فإن البلاغة في ضوء النظم ليست ترتيباً خارجياً للكلام، بل هي آلية بنائية تنبع من علاقات البنية اللغوية الداخلية.

وباختصار، فإن الجرجاني بنظرته الثاقبة قد نقل البحث البلاغي من سطحية المفاضلة بين اللفظ والمعنى إلى تحليل عميق لمكونات النص، متجاوزاً ثنائية "اللفظ/المعنى" لصالح نظرية "البنية/التركيب"، وهو ما يجعل من نظريته واحدة من المرتكزات التأسيسية لفهم النص الأدبي بوصفه نظاماً لغوياً دلاليًا معقدًا، تتداخل فيه القيم الجمالية والوظيفية والتأويلية.

الفرع الثاني: نظرية النظم: النشأة والمفهوم عند الجرجاني

تُعدّ نظرية النظم، كما تُنسب تجاوزاً إلى عبد القاهر الجرجاني، من أبرز التصورات النقدية التي سعت إلى تفسير الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم من خلال بنية التركيب اللغوي، غير أن الجرجاني نفسه لم يصغها على هيئة "نظرية" كما نفهمها في السياق المعرفي الحديث، وإنما عاجلها بوصفها ممارسة بلاغية تقوم على صنعة في استعمال الكلام، لا مجرد تأليف اللغة. وقد سبق الجرجاني إلى الحديث عن "نظم القرآن" عدد من العلماء كالجاحظ الذي ألف في هذا الباب كتاباً لم يصل إلينا، كما سبقه أصحاب النزعات الكلامية والأشعرية في الإشارة إلى مفهوم النظم ولو من زوايا مختلفة. إلا أن الجرجاني يُحسب له أنه جمع شتات تلك الإشارات والمباحث السابقة ونسقها في إطار بلاغي محكم في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، فناقش فكرة النظم بعدها جوهر التفاضل بين البلاء، وميدان التمايز في صنعة القول، وقدم إجراءات عقلية ومنهجية تقوم على التمييز بين اللغة باعتبارها نظاماً، والكلام* باعتباره استعمالاً إبداعياً لهذا النظام. كما رفض الفصل بين اللفظ والمعنى، وذهب إلى أن جوهر النظم يتمثل في توخي معاني النحو وأحكامه في ضمّ الكلم إلى بعضها، فالفكر يشتغل لا على الألفاظ المجردة، بل على صياغة المعنى في سياق تركيب منضبط بالنحو، كما أن مطابقة المعنى للفكر إنما تتم من خلال انتظام الألفاظ في تراكيب تعكس ذلك الفكر، وهذا هو ما عبّر عنه بمثال البناء الذي لا يصحّ أن يفكر في الغزل ليشيد به بيتاً، في إشارة إلى وجوب التناسب بين طبيعة الفكر وأدواته التعبيرية.

الفرع الثالث: النظم متحقق في منطقة الكلام

في ضوء هذا التصور، يقرّر الجرجاني أن النظم يتحقق في منطقة الكلام، لا في اللغة المجردة، وهو صنعة يقوم بها المتكلم مستعيناً بالفكر، إذ تُبنى التراكيب لا على اختيار الكلمات فحسب، بل على موقعها وعلاقتها النحوية في الجملة. وقد شدد الجرجاني على أهمية علم النحو في تحقيق النظم، حيث يقول: "ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو..."، مما يدل على أن النظم يتأسس على معرفة دقيقة

بمناهج النحاة، وأحكام التركيب، والأنساق التي وفّرتها اللغة عبر استعمالاتها وتراكيبها الثابتة. لكنه لا يتوقف عند حدود "الصواب النحوي" بل يتجاوز ذلك إلى إدراك ما أسماه بـ"المعاني النحوية"، أي تلك المعاني التي تُبنى عليها الوظائف البلاغية للجملة من تقديم وتأخير، وإخبار واستفهام، وحكم وإنشاء، فالبلاغة ليست في المفردات، بل في العلاقات التي تنتظمها. إن الجرجاني يؤسس لرؤية بلاغية عقلية متماسكة، تقوم على أن الكلام البليغ لا يُحاك إلا إذا طابقت صورته الظاهرة صورةً فكرية باطنة، وأن النظم هو الأفق الذي يلتقي فيه الفكر واللغة، فيتحقق الإعجاز، ويتجلى المعنى. وفي سياق البحث في المفاهيم البلاغية العميقة التي تشكّل جوهر البيان العربي، يتبيّن أن الاستعارة لا تُبنى - كما قد يُظنّ - على مجرد حذف أحد طرفي التشبيه، بل تتطلب تحوّلًا دلاليًا حقيقيًا يتأسّس على ما سمّاه السكاكي بـ"المخالفة اللغوية"؛ أي أن يُستعمل اللفظ في غير ما وُضع له في الأصل، لعلاقة مشابهة بينه وبين المعنى الجديد، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي. فليست كل عبارة يُحذف منها المشبه أو المشبّه به استعارة، ما دام بالإمكان تقدير الطرف المحذوف دون الإخلال بدلالة التشبيه، كما في قول أحدهم: "رأيت محمدًا كالبحر"، ثم يردّ الآخر: "وأنا أيضًا"، فيفهم الكلام على أنه تشبيهٌ بقي على حاله الأصلية. أما الاستعارة فنحصل حين يُنقل اللفظ إلى مجال دلالي جديد، ثم يُدعى انتماءه إلى هذا المجال كما في قول الشاعر: "وإذا المنية أنشبت أظفارها". فكلمة "المنية" خرجت من معناها الأصلي (الموت) إلى دلالة مجازية (كائن مفترس)، واستُعيرت لها صفات حيوانية كالافتراس، و"أظفارها" هي القرينة التي منعت إرادة المعنى الحقيقي. هذا الادّعاء بأن "المنية" صارت حيوانًا مفترسًا هو جوهر الاستعارة البلاغية، وهو ما يميزها عن مجرد النقل اللغوي، كأن تُسمّى طفلًا باسم "أسد" أو "خالد"، فإن هذا لا يُعدّ استعارة بل مجرد انتقال اسمي. فالاستعارة إذن ليست تعبيرًا مجازيًا سطحيًا بل عملية دلالية معقدة، تتطلب نقلًا ثم ادعاءً ثم تأكيدًا للانتماء الجديد في مستوى المعنى، وهذا ما يربط البلاغة بعلم الدلالة من جهة، وبالفكر التمثيلي من جهة أخرى، وهو ما وعاه الجرجاني جيدًا حين جعل الاستعارة من ضروب الفصاحة العالية، لا من ضروب التجميل اللفظي الظاهري.

أما القسم الثاني من فصاحة الكلام عند الجرجاني، فهو الذي تعزى فيه المزية إلى "النظم"، أي إلى توحي معاني النحو وأحكامه وفروقه ووجوهه، كما ورد في كتابه دلائل الإعجاز. وهو لا يعني بالنظم مجرد تأليف الكلمات بحسب قواعد اللغة، بل يعني بذلك اختيار التراكيب وفق معاني نحوية مخصوصة، مثل الابتداء والخبرية، والمفعولية، والتبعية، والمضاف والمضاف إليه، والعلاقات التي تنشأ بين هذه المفردات داخل السياق التركيبي. ولذلك حين يحلل الجرجاني قوله تعالى: "الحمد لله رب العالمين"، لا يلفت النظر إلى الإعراب الظاهري، بل إلى الوظائف النحوية: "الحمد" مبتدأ، و"الله" خبر، و"رب" صفة، و"العالمين" مضاف إليه، وهكذا. فالبلاغة عنده تتحقق حين تكون العلاقات بين الكلمات قائمة على معاني النحو لا على الألفاظ

المجردة. وإذا ما اكتمل هذا النظم بمعايير البلاغة كالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز والإطناب، صار الكلام فصيحاً بامتياز. ومن هنا، يتضح أن الجرجاني لم يحصر الفصاحة في حسن اللفظ أو في الأشكال البيانية فحسب، بل اعتبر النظم جوهرًا مؤسسًا للفصاحة، لأنه يُنتج المعنى بطريقة مركبة تراعي الوظيفة النحوية والسياق البلاغي معًا. ولهذا، فإن نظرية الجرجاني لا تزال من أعظم ما أُنجز في التفكير البلاغي العربي، لأنها ربطت بين النحو والبلاغة والدلالة في منظومة واحدة متكاملة.

المطلب الثاني: مزية اللفظ والمعنى

الفرع الأول: المزية لغة

ومن الألفاظ التي لا بد أن ترافقنا في دراستنا هذه مصطلح (المزية)، وبهذه الكلمة وما تحويه من معانٍ نستطيع أن نرجح ما بين اللفظ والمعنى، وبها نستطيع أن نعلم بما قدم بعضهم اللفظ على المعنى، وبما قدم آخرون المعنى على اللفظ، وبما وازن الآخرون بينهما، فمن العلماء كما سبق ذكره من جعل المزية للفظ، ومنهم من جعل المزية للمعنى.

والمزية في اللغة: وجاء في لسان العرب: "مزا مزوا، تكبر، والمزو والمزي والمزية في كل شيء: التمام والكمال، وتمازى القوم: تفاضلوا، وأمزيته عليه: فضّله، والمزية الفضيلة، قفية ومزية: إذا كان له منزلة ليست لغيره" (17). وعرفها ابن فارس بقوله: "ميز: الميم والياء والزاي، أصل صحيح يدل على تزيل الشيء من الشيء، وميزته تمييزاً، وامتازوا: تميز بعضهم على بعض" (18). وجاء في تعريف المزية: "رجل مميز ومياز، وماز منه، ميزه، وأماز، وامتاز، واستماز...، وتمايزت بين الشيئين، وتمايز القوم تفرقوا" (19).

الفرع الثاني: المزية اصطلاحاً

والمزية في الاصطلاح: مما سبق يمكننا أن نستنتج معنى المزية في الاصطلاح، فيمكننا القول: إنها الفضل أو الفضيلة التي يتمتع ويمتاز بها الإنسان أو الشيء على غيره، بحيث يكون متميزاً بها على غيره، والمزية: هي الشيء الفارق بين اثنين الذي يكون سبباً لتقدمه على الآخر، نقول تميز الطالب على صاحبه، أي كان متميزاً عنه باجتهاده مثلاً، أو بأدبه، فعندما نقول: المزية للفظ مثلاً، فإن الذي قدم اللفظ جعل أموراً للفظ بسببها ميّزه عن المعنى، والذي قدّم المعنى جعل للمعنى أموراً بسببها حكم عليه بتميزه عن اللفظ وبسببها تقدم عليه.

مما ذُكر في قضية اللفظ والمعنى قبل الشيخ عبد القاهر الجرجاني⁽²⁰⁾:

إن قضية اللفظ والمعنى لا تعد جديدة ووليدة اللحظة عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني كما ذكرنا سابقاً، وهناك كثير من العلماء ذكروا هذه القضية في كتبهم، بل وأفردوا لها أبواباً وفصولاً، فسيبويه العالم النحوي الكبير (ت180هـ)، أشار في كتابه المشهور (الكتاب) إلى ذلك في باب وأسماء "باب اللفظ للمعاني"، حيث ذكر اختلاف اللفظتين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظتين والمعنى الواحد، كما ذكر اتفاق اللفظتين لاختلاف المعنيين⁽²¹⁾. وهذا ابن جني، صاحب كتاب الخصائص، (322هـ-392هـ)، نجده في كتابه قد جعل باباً منفصلاً تحدث فيه عن هذه القضية وجعله موسوماً بـ(إمساس الألفاظ أشباه المعاني)⁽²²⁾. أما ابن فارس (329هـ-395هـ)، فقد اتفق مع سيبويه فيما قال في كتابه (الصاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها)، وجعل من ضمن هذا الكتاب عنواناً "باب أجناس الكلام في الاتفاق والاختلاف"، فتقاطع مع سيبويه في ذلك، لكنه زاد على ما عنده، فجعل عنواناً في اتفاق اللفظ وتضاد المعنى، وجعل عنواناً في تقارب الألفاظ والمعاني، وجعل عنواناً آخر لاختلاف الألفاظ والمعاني، وجعل عنواناً في تقارب الألفاظ وتباعد المعاني، وجعل عنواناً آخر في تباعد الألفاظ وتقارب المعاني⁽²³⁾. ومن ثم جاء بعد ذلك ابن قتيبة الدينوري (213هـ-276هـ)، وتحدث في كتابه (الشعر والشعراء) عن العلاقة القائمة ما بين الألفاظ والمعاني، ونراه قد ربط جودة اللفظ بالمضامين، وكأنه يشير لأهميتهما معاً. وهذا ابن المعتز (247هـ-296هـ) في كتابه (البدیع) نجد أن كذلك لم يغفل قضية اللفظ والمعنى، فقد اهتم بها اهتماماً بالغاً، ولكنه فصل بين اللفظ والمعنى في كتابه. أما ابن طباطبا (وميلاده مختلف فيه ولكنه توفي عام 322هـ)، وكتابه الشهير (عيار الشعر)، نراه يدعو للاهتمام باللفظ وعدم إغفاله، فكما أن المعنى مهم، فاللفظ لا يقل أهمية عن المعنى. وهذا قدامة بن جعفر (مختلف في ميلاده قيل عام 263، وقيل: بخلاف ذلك، وقيل: عاش 73، وقيل 74 سنة، والثابت وفاته كانت في 337هـ) وفي كتابه "نقد الشعر"، يقول: الأقوال بالشعر لا بد من أن تكون موزونة على شكل مقبول، وبنفس الوقت تكون دالة على معاني، وإلا ما حازت على المزية. وأبو هلال العسكري (قيل مولده في عام 310هـ- ووفاته كانت في 395هـ) صاحب كتاب الصناعتين

كان يهتم باللفظ كثيراً، وكان ممن لا يقبل الكلام والألفاظ إلا إن كانت سلسلة وسهلة على اللسان. وهذا المرزوقي (مختلف في ميلاده، ووفاته في 421هـ)، وفي كتابه (شرح ديوان الحماسة)، نراه يطرح أفكاراً فيها تناقض في بعض الأحيان، فبعضها يفضّل المعنى، وبعضها يفضل اللفظ، ولكن ذكر أن النص والنظم لا يصل إلى جودته وروعته إلا بالمعادلة ما بين اللفظ والمعنى، وعدم إغفال أيٍّ منهما. وابن رشيق القيرواني (قيل ولد في 390هـ - 456هـ)، وفي كتابه (العمدة)، فله رأيٌ جميل جداً، ورأيه غاية في الروعة، حيث اعتبر الألفاظ كالجسد وروحه المعنى، وأن ارتباطهما مع بعضهما لا ينفك أبداً، فإذا وجد أحدهما لا بد من وجود الآخر، وإذا انتفى أحدهما لا بد من انتفاء الآخر، فهما بنسبة متساوية من الأهمية، ولا يمكن إغفال أهميتهما معاً، وهو لا يقبل من الشاعر أن يكون لفظه ركيكاً ومعناه عميقاً، ولا أن الألفاظ جزلة عميقة الدلالة ولكن دالة على معاني سقيمة، فكلٌّ منهما يقوى بالآخر على حد قوله، ومع هؤلاء العلماء الجهابذة وما تقدم من آرائهم، إلا أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني يخالف كثيراً منهم، ويجعل المعنى هو الأساس، وأن اللفظ تابعٌ للمعنى، بل إن الألفاظ خدّمٌ للمعاني (24).

المبحث الثاني: أهمية اللفظ والمعنى

المطلب الأول: تاريخ اللفظ والمعنى

الفرع الأول: الانشغال في القضية

تعد قضية اللفظ والمعنى من القضايا المهمة كما سبق وذكرنا سابقاً، والمتتبع في تاريخ الأدب العربي قديماً وحديثاً يجد أن هناك اهتمام بالغ بهذه القضية عند العلماء جميعاً، وكانت هذه القضية أكثر بروزاً في القرن الثالث الهجري، حيث أنها شغلت العلماء من الأدباء والنقاد، وبقيت هذه القضية باباً مطروحاً للبحث، ودار الجدل بسببها بين العلماء فترة طويلة، وفي ذلك العصر وهو بداية الاهتمام بهذه القضية انقسم العلماء في هذه القضية إلى فريقين، والذي يظهر بعد الاطلاع أن الاتجاه السائد كان هو الاتجاه الذي يميل إلى تفضيل اللفظ على المعنى، حتى ظهر النقد العربي بعد ذلك وكثرت الآراء حول تلك القضية (25).

ومما لا شك فيه أن الاهتمام بقضية اللفظ والمعنى كانت منذ القدم، ومن أوائل من اهتم بهذه القضية الجاحظ، والشافعي، وابن سينا، ذلك العالم الفذ الذي برع في شتى من أنواع العلوم، حيث يعد من الذين أفاد منهم الحقل الدلالي، وخاصة أن الدلالة هي ميدان الخلاف في هذه القضية، فالدلالة هي التي تبحث في المعاني، وطرق تشكيل الألفاظ، فابن سينا الطبيب العالم النفساني (370هـ - 427هـ)، الخبير بمكان النفوس وأسرارها، استطاع الدخول والولوج بقوة إلى ميدان علم الدلالة، واستطاع امتلاك أدوات تشريح هذا العلم، كما امتلك وبرع في امتلاك تشريح الجسم البشري، فنراه قد توقف ملياً عند الأفعال الدلالية، وبين العلاقة بينها، ناهيك عن اللفظ وأقسامه على اعتبار الشركة والخصوصية بينهما، وأشار ابن سينا أنه بإمكاننا بناء الحقول الدلالية التي تختص بالأسماء، ومن أكثر ما يمكن إبرازه هو كونه العلاقة التي وضعها ابن سينا وآثارها في النفس الإنسانية (26)، "ونظراً لأهمية اللفظ والمعنى عموماً، وارتباطهما بكثير من العلوم ومجالات المعرفة الإنسانية، لم تقتصر دراستهما قديماً وحديثاً عند العرب وغيرهم على مجال اللغة وحدها الذي يعد أكثر ميادين العلوم اهتماماً بهما، بل إن المجالات المعرفية ذات الصلة بهذه القضية درست ما يخصها منها ولذلك كانت قضية اللفظ والمعنى في تراثنا مسألة أساسية ومشاركة في جميع العلوم والدراسات العربية التي تتصل بالكلمة" (27).

الفرع الثاني: رأي الجرجاني في اللفظ والمعنى

المستعرض لما قاله الشيخ عبد القاهر الجرجاني في هذا الباب، يجد وكأن لسان حاله يقول: إن المعاني ميسرة ومهيأة للجميع، العبرة باللفظ، فليس الكل يستطيع ترجمة وصياغة المعنى إلى ألفاظ مناسبة، ويشير الجرجاني في معرض حديثه أن اللفظ وخاصة الحسن المستقيم منه، لا يمكن أن يخرج إلا من الفصيح البليغ، ولذلك يقولها صراحة في كتابه دلائل الإعجاز: "فترى الرجل منهم يرى ويعلم أن الإنسان لا يستطيع أن يجيء بالألفاظ المرتبة، إلا من بعد أن يفكر في المعاني ويرتبها في نفسه على ما أعلمناك، ثم تفتشه فتراه لا يعرف الأمر بحقيقته، وتراه ينظر إلى حال السامع، فإذا رأى المعاني لا تقع مرتبة في نفسه، إلا من بعد أن تقع الألفاظ مرتبة في سمعه بشيء حال نفسه، واعتبر حال من يسمع منه، وسبب ذلك قصر الهمة، وضعف

العناية، وترك النظر، والأنس بالتقليد، وما يغني وضوح الدلالة من لا ينظر فيها، وأن الصبح ليملاً الأفق، ثم يراه النائم وقد أطبق جفنه" (28).

المطلب الثاني: العلاقة اللفظية المعنوية

الفرع الأول: علاقة اللفظ بالمعنى

وهذه من المسائل التي اختلف بها علماء اللغة، لكن لا شك أن هناك علاقة، وعلاقة كبيرة ما بين اللفظ والمعنى، فبدون اللفظ لا يوجد معنى، ولا يمكن الوصول إليه، ولا يمكن إدراك كُنْه المعنى دون اللفظ الدال عليه، وبنفس الوقت بدون وجود المعنى لا يمكن أن يكون هناك لفظ، فما قيمة اللفظ إن لم يكن دالاً على معنى؟ ويقول ابن جني (322هـ - 392هـ) في كتابه (الخصائص) وفي معرض حديثه عن اللفظ والمعنى، وفي باب التفسير على المعنى دون اللفظ: "اعلم أن هذا موضع قد أتعب كثيراً من الناس، واستهواهم ودعاهم من سوء الرأي وفساد الاعتقاد، إلى ما بذلوا به وتتابعوا فيه، حتى إن أكثر ما ترى من هذه الآراء المختلفة والأكثرية المستشنة، إنما دعا إليها القائلين بما تعلقهم بظواهر هذه الأماكن، دون أن يبحثوا عن سر معناه وسائر أغراضها، فمن ذلك قول سيبويه من بعض ألفاظه: (حتى الناصبة للفعل في نحو قولنا: اتق الله حتى يدخلك الجنة. فإذا سمع هذا من يضعف نظره، اعتدها في جملة الحروف الناصبة للفعل، وإنما النصب جاء بأن مضمرة، وجاز أن يتسمع بذلك من حيث كان الفعل بعدها منصوباً بحرف لا يذكر، فصارت في اللفظ كالحلف له، والعوض منه، وإنما هي في الحقيقة جارة لا ناصبة) (29)".

وفي الحقيقة أن العلاقة بين اللفظ والمعنى ليست وليدة اللحظة، وإنما هي علاقة قديمة حديثة، لها أعماق وجذور في التاريخ وفي المجال اللغوي والإنساني، والإنسان في حياته هذه لا يمكن له أن يستغني عن أحدهما، فكلاهما مهمٌ للإنسان، ولرب سائل يسأل وكيف ذاك؟ نقول له: إن اللفظ والمعنى ينظم العلاقات ما بين المجتمعات الإنسانية، وبسبب ذلك كان لا بد من مصطلح معين يعبر به الإنسان عما بداخله تلبيا لرغباته ولفطرته، فهذا المصطلح هو اللفظ، فبه تُقضى الحاجات، وكان لا بد بالمقابل من مصطلح آخر يُفهم منه المراد، أي المضمون، وهذا المصطلح هو المعنى، ولهذا كانت دراسة مصطلح المعنى مهمة جداً في تاريخ الدرس

اللغوي، فهو المراد من وراء اللفظ، وبهذا تظهر لنا قوة عظيمة تبين لنا العلاقة الوطيدة ما بين المصطلحين، اللفظ والمعنى، فاللفظ عند استعماله يعبر عن المعنى وكأنه هو، فإذا تكلم ولفظ المتلفظ بلفظه فكأنما أحضر المعنى ودل عليه السامع، وهذا الارتباط الوطيد يُظهر لنا أن اللفظ والمعنى لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر، فهما كالشيء الواحد، وكما يقولون: وجهان لعملة واحدة، وهما زوجين ثنائيين اهتم العلماء بهما أشد الاهتمام، وهذا إنما جاء بسبب اتصالهما بقضية جليلة وهي الإعجاز القرآني والإعجاز اللغوي⁽³⁰⁾. يظهر لنا مما سبق أن الدكتور عز الدين عبد العالي شأنه شأن الجرجاني فهو يرجح أن هناك قوة كبيرة جدا، وعلاقة وطيدة لا يمكن إغفالها ما بين اللفظ والمعنى، لكنه لم يجعل المزية للمعنى كما جعلها الشيخ، فنراه وصفهما بقوله: ثنائية اللفظ والمعنى، من قوله ثنائية، يتبادر لنا وكأن علاقتهما لا يمكن تفسيرها، ولا تعليلها، ولا الوصول لِكُنْهها، لأن علاقتهما كعلاقة الروح بالجسد، فإذا فقدت الروح، فقد الجسد، وإذا فقد الجسد فقدت الروح، فإذا ذكر أيُّ منهما، فلا بدَّ وأن يُذكر الآخر، وفي الحقيقة إن علاقة اللفظ بالمعنى علاقة قوية جدا، لأنهما يتعلقان بالعقل والوجدان معا، ومن الصعب أن نفصل بينهما اعتباطا، وقد قال الجاحظ في ذلك: "والأسماء في معنى الأبدان، والمعاني في معنى الأرواح، اللفظ للمعنى بدن، والمعنى لللفظ روح لو أعطاه، [أي الله عز وجل]، للإنسان الأسماء بلا معان لكان كمن وهب شيئا جامدا لا حركة له، وشيئا لا حس فيه، وشيئا لا منفعة عنده"⁽³¹⁾.

الفرع الثاني: اللفظ والمعنى لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر

لا شك أن هذا من مسائل الخلاف بين العلماء، وللشيخ عبد القاهر الجرجاني رأي في ذلك، لكن لا بد من ذكر آراء من قبله، فإذا أتينا إلى أعجوبة عصره الجاحظ (159هـ - 255هـ)، ورأيه في قضية اللفظ والمعنى، فإنه يؤكد أن المعاني يعرفها كلُّ الناس، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، رئيسهم ومرؤوسهم، المعاني متوفرة معروفة يعرفها القاضي والداني، وإنما الفرق من وجهة نظره أن الألفاظ لا يحسن نظمها وصياغتها كثير من الناس، فالذي يستطيع صياغة الألفاظ الحسنة هو الفصيح، والذي لا يستطيع نظمها حتى لو توفر المعنى عنده ولم يستطع أن يعبر عنه فليس بفصيح، فكل فصيح بليغ، لكن ليس كل بليغ فصيح، فبعضنا في هذه الأيام

يبلغ من العلم الشيء الكثير، وهو متمكنٌ من تخصصه بشكل جيد، لكنه إذا جاء أن يعبر أو أن يعلم غيره مثلاً، ترى ألفاظه لا تدل على أن صاحبها عالم بتخصصه، حتى لو أنه أشبع هذا الموضوع حفظاً ودراسة في ذاكرته، إن لم يستطع أن يعبر عما بداخله بألفاظ حسنة، فهو ليس بفصيح، فالجاحظ من فريق الذين انتصروا للفظ على حساب المعنى، وكثير من العلماء أيده برأيه، وبنفس الوقت هناك من عارضه، وفي الحقيقة لا حلاوة للكلام من دون تحيُّر الألفاظ، فإن لم تكن الألفاظ حسنة محبة من العقول والقلوب، فلن يفيد العلم أحدا عندها إلا صاحبه، لأنه لم يستطع أن يعبر عنه، وكلنا يحفظ ما قاله الجاحظ في تفريقه ما بين اللفظ والمعنى، فقد قال: "المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتحيل اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة، وضرب من الصيغ، وجنس من التصور" (32)، كما ويقول الجاحظ في موضع آخر: "من أراد معنىً كريماً، فليتمس له لفظاً كريماً، فإنَّ حقَّ المعنى الشريف اللفظ الشريف" (33). ونرى الجاحظ وكأنه ينحى منحى جديداً لكي يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، فنراه وكأنه يقول لا ضير باللحن إذا اقتضى الحال والمقام ذلك، فنراه يقول صراحة: "وأنا أقول إن الإعراب يفسد نواذر المولدين، كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب، لأن سامع الكلام إنما أعجبه تلك الصورة وذلك المخرج، وتلك اللغة، وتلك العادة، فإذا دخلت على هذا الأمر إنما أضحك بسخفه وبعض كلام العجمية حروف الإعراب والتحقيق والتثقيل، وحولته إلى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء وأهل المروءة والنجابة، انقلب المعنى مع انقلاب لفظه، وتبدلت صورته" (34). ونرى الجاحظ يقول في موضع آخر: "أعجب الألفاظ عندك ما رق وعذب وخف وسهل، وكان موقوفاً على معناه، ومقصوراً عليه دون سواه، لا فاضل ولا مقصر، ولا مشترك، ولا مستغلق، وقد جمع خصال البلاغة، واستوفى خلاله المعرفة فإذا كان الكلام على هذه الصفة، وألف على هذه الشريطة، لم يكن اللفظ أسرع إلى السمع من المعنى إلى القلب، وصار السامع كالقاتل، والمتعلم كال معلم" (35). فالجاحظ لم يكن يستقبح الألفاظ، ولم ير أن وصفها بأنها حسنة أو مستكرهة لذاتها على الإطلاق، بل الأصل أن تكون موافقة للمعاني، ملائمة لها، وإذا كان اللفظ مناسباً للمعنى الذي خصص له، لا يمكن عندها

أن نستخدم لفظاً غيره، واللفظ من وجهة نظره هو الأصل الذي بسببه وجدت منه الوسائل الدالة على البيان، فيجب أن يكون ملائماً للمعنى وإلا لما حصل على المزية.

وكما أن للقدماء كأمثال الجرجاني رأي فيها، فإن للمحدثين آراء كذلك، فإذا استعرضنا رأي الدكتور عبد العزيز عتيق، وهو أحد العلماء المحدثين في علوم اللغة والبلاغة العربية، نراه يقول: أن اللفظ والمعنى لا ينفكان عن بعضهما أبداً، وكلُّ منهما مكملٌ للآخر، فلقد ذكر في كتابه (علم المعاني في البلاغة العربية)، أن الألفاظ والمعاني أحد العناصر التي لا يمكن الاستغناء عنها في البلاغة العربية، فقال: "ومن السهل أن نلتبس في أقوال البلغاء السابقة عناصر البلاغة، وهي: اللفظ والمعنى، وتأليف الألفاظ على نحو يمنحها قوة وتأثيراً حسناً، ثم الدقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام وموضوعاته، وحال السامعين والنزعة النفسية التي تسيطر عليهم" (36). أما ابن قتيبة الدينوري، صاحب كتاب الشعر والشعراء (213هـ-276هـ)، فقد أشار إلى قوة الترابط ما بين اللفظ والمعنى، بل وإحما يلتحمان وكأنهما جزء واحد، فوصفهما بأثما ثنائية واحدة، ولكنها مقسمة إلى قسمين هما: اللفظ والمعنى، وجعل المزية لكليهما معا (37)، فقسم هذه الثنائية إلى ما يلي (38) (39):

- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه.
- وضرب منه حسن لفظه وعلا، فإذا أنت فتشته لم تجد فائدة في المعنى.
- وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه.
- وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه.

ثم يردف ابن قتيبة قائلاً: "فما يزيد في حسن الشعر ويمكن له حلاوة في الصور حسن الإنشاد وحلاوة النغمة، وهو أن يكون الشاعر قد عمد إلى معاني شعره فجعلها فيما يشاكلها من اللفظ، فلا يكسو المعاني الجديدة ألفاظاً هزلية فيسحقها، ولا يكسو المعاني الهزلية ألفاظاً جديدة فيستوخمها سامعها، ولكن يعطي لكل شيء من ذلك حقه ويضعه موضعه" (40)، فابن قتيبة يحكم على جودة البيت وشعريته وقيمته على أساس اللفظ الجيد والمعنى الجيد، فالمعنى الجيد لا بد له من لفظ جيد، واللفظ الجيد لا بد له من معنى جيد، فلا يحسن أحدهما إلا بالآخر،

والشاعر الجيد يراه ابن قتيبة من ضَمَنَ كَلَامَهُ الْبَلَاغَةَ، لقد وازن ابن قتيبة ما بين اللفظ والمعنى، ولم يجعل المزيّة لأحدهما دون الآخر.

والفارابي (ت339هـ) تحدث أيضا عن قضية اللفظ والمعنى شأنه شأن غيره من العلماء، فالفارابي كان قد اهتم بالفلسفة وعلم المنطق، وهذين العلمين يركزان بشكلٍ أساسي على اللغة والكلام، فقد قسم الألفاظ على أساس الدلالة، "بل إنه وضع لهما علما خاصا سماه "علم الألفاظ"، التي قسمها إلى سبعة أقسام وهي: علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تتركب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين الشعر" (41)، والفارابي بما ورد عنه واشتهر به كان قد تعمق بدراساته للألفاظ، حتى أنه جعل لها قوانين معينة لتخدم الخطاب، ولتوافق اللفظ مع المعنى الذي جُعِلَ له، فالفارابي يسعى لإيصال فكرة أن العلاقة ما بين اللفظ والمعنى علاقة تكاملية، فكلٌّ منهما مُكَمِّلٌ للآخر، فالفارابي يؤكد على أن الألفاظ إنما هي تكون وسيلة مؤدية للمضمون الذي هو بالنهاية المعنى، فالمعاني هي تصورات، والألفاظ قوالب لهذه التصورات، وهي محققة ومجسدة لتلك التصورات (42).

ومن العلماء من نجده يقدم المعنى على اللفظ، فتراه يهتم بصحة المعنى دون اللفظ، بل ويهمل اللفظ، ولا يهتمُّ باللفظ أكان هذا اللفظ قبيحا، أو خشنا، أو وحشيا، مثل ابن الرومي، وأبي الطيب، ومنهم من وقف من هذه المسألة موقف الوسط، فلم يرجح أحدهما على الآخر، فتراه لم يجزم بأفضلية أحدهما، لأن كلا منهما مهم من وجهة نظره، كأمثال ابن رشيق القيرواني، فقد أشار إلى أن اللفظ دون المعنى كالجسد الميت، وكذلك اللفظ روح بلا جسد إن كان المعنى منفصلا عنه، فيقول: "اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ، كان نقصاً للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعمور، وما اشبه ذلك من غير ان تذهب الروح، وكذلك إن ضَعُفَ المعنى واختل بعضه، كان اللفظ من ذلك أوفر الحظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجتمع معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب، قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ موافاً

لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما أنَّ الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين، إلا أنه لا يُتفَع به ولا يفيد فائدة، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى، لأننا لا نجد روحاً في غير جسم البتة" (43)، ويوافقه بذلك العتابي (135هـ-220هـ)، حيث يقول: "الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرًا، أو أخرت منها مقدماً، أفسدت الصورة وغيّرت المعنى، كما لو حول رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، لتحولت الخلقة، وتغيرت الحلية" (44).

وفي هذا السياق يشير أبو سهل بن المعتمد (مولده مختلف فيه، لكن 210هـ) أنه موافق للجاحظ في رأيه في قضية اللفظ والمعنى، فيقول: "ومن أراد معنى كريماً، فليلتبس لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف" (45). ولا بد من الإشارة إلى أن العلاقة ما بين اللفظ والمعنى علاقة اعتباطية لا تفسر، وهذا رأي فريق من العلماء، وقد أشار جمع من العلماء المحدثين أن العلاقة بينهما لا تنفك بشكل، وأنها علاقة عُرفية إن صح التعبير، ومنهم من رأى أنه لا علاقة ما بين اللفظ والمعنى، والخلاف في هذه المسألة قديم حديث، وقضية جدلية لا يمكن أن تنتهي، فالنقاد والعلماء كلٌّ منهم يدلي بدوله على مر العصور، كانت قضية جدلية، وستبقى كذلك من بعدنا أيضاً، فكل واحد من العلماء والنقاد ينظر من زاوية معينة يراها هي الحقيقة، وما عداها هو خلاف الحقيقة.

أما أبو هلال العسكري (مختلف في ميلاده، لكن وفاته كانت في 395هـ)، فقد جعل الفضل، أو المزية كما ذكرنا للفظ على حساب المعنى، فقد ذكر ذلك في كتابه (الصناعتين)، وذكر قواعد للتمييز ما بين الجيد والرديء من الكلام، وبين ذلك بقوله: "الكلام - أيدك الله - يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخيره لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشابه أعجازه، وموافقة مآخيره لمباده، وجودة مقطعه، وحسن رصفه وتأليفه..." (46). فالعكسري يجعل اللفظ مقدماً على المعنى، وأن الميزة في العمل الأدبي للألفاظ لا للمعاني، وهو بذلك يوافق الجاحظ في كلامه، فالمعاني موجودة لدى الجميع، لكن العبرة في الصياغة والتعبير عن هذه المعاني بالألفاظ تليق بها، وأشار إلى أن الكلام الجيد سماته تبرز في ألفاظه الجيدة.

المطلب الثالث: الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها

الفرع الأول: المزية للفظ والمعنى معا

وقد ذكّر عن الشيخ عبد القاهر الجرجاني أنه قال: "اعلم أن الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها، ويبين مراتبها، ويكشف عن صورها، ويحني صنوف ثمرها، ويدل على سرّاتها، ويبرز مكنون ضمّاتها، وبه أبان الله تعالى الإنسان عن سائر الحيوان، ونبه فيه على عظم الامتتان ... فلولا له لم تكن لتتعدى فوائد العلم علمه، ولا صح من العاقل أن يفتق عن أزهير العقل كعائمه، ولتعلّطت الخواطر والأفكار من معانيها، واستوت القضية في موجودها وفانيها" (47).

فالشيخ يجعل الفصاحة تظهر بضم الكلام إلى بعضه، ولا تظهر المزية للفظ وحده، ولا للمعنى وحده، وإنما تظهر المزية فيهما معا، ولقد درس عبد القاهر الجرجاني آراء من قبله، وخرج بأن هناك علاقة قوية ما بين اللفظ والمعنى، وكان يسعى في كتابيه (أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز) إلى إبراز أن المزية لا تظهر إلا إذا اشترك والتّحَم اللفظ والمعنى معا، وهو يقول أن اللفظ وحده لا يؤدي الغرض المطلوب منه، والمعنى كذلك لا يؤدي الغرض المطلوب منه، ويقول الجرجاني في معرض حديثه: أن الفصاحة ومنها المزية لا تظهر في أفراد الكلمات، ولكن تظهر بالضم على طريقة مخصوصة، وأن اللفظ وحده أو المفرد لا يُظهر الفصاحة، بل التركيب كاملا، ويردّ قائلًا: إنك لترى الكلمة تروق وتونّسك في موضع، ثم تراها بعينها تتقلّ عليك وتوحشك في موضع آخر، ففصيح الكلام لا يكون إلا إذا وضع في مكانه المناسب، فاللفظ يكون فصيحاً من أجل مزية تقع في معناه، لا من أجل مزية في حرسه وصداه، فالمزية تكون في المعنى دون اللفظ على حد قوله، ولكنه يرجع ويجعل المزية في مواضع أخرى لهما معا، ويقول: إن الفصاحة لا تكون في ذات اللفظ لأنه فقط لفظ، ليس اعتباطاً، وإنما يرجع ذلك إلى النّظم وطريقة ترتيب الكلام، وذلك على حسب ترتيبه في النفس، ويقول الجرجاني في موضع آخر: "إذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً، أو يستجيد نثراً، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ، فيقول: حلّو رشيّق، وحسن أنيّق، وعذب سائّع، وخلوب رائع، فاعلم أنه ليس يُنبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف، وإلى ظاهر الوضع اللغوي، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده، وفضل يقرّحه العقل من زناده" (48).

الفرع الثاني: اللفظ الشريف والمعنى الشريف

والجرجاني يُقَدِّم المعنى، فالمعنى يُثْمَل عنده مقياساً من مقاييس الفصاحة لا الألفاظ لوحدها، والفصاحة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً عند الجرجاني من جهة بالألفاظ والمعاني من جهة، وبنظرية النظم التي اشتهرت عنه من جهة أخرى، وكما ذكرنا سابقاً فإن الدارس لنظرية النظم لا غنى له عن قضية اللفظ والمعنى، ومن يدرس قضية اللفظ والمعنى، لا بد له وأن يُعرج على نظرية النظم، فالنظم في الكلام إنما أساسه اللفظ والمعنى معا ليكون نظاماً، وفي باب انخيازه للمعنى يقول: إن المزية التي من أجلها استحق اللفظ أن يكون فصيحاً هي المعنى دون اللفظ، ومزية المعاني إنما تكون في حسن الكلام وترتيبه، ويقول: من نصر اللفظ على المعنى، كان كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته، وهذا مَطْنَةُ الاستكراه، لذلك فإن "المتقدمين تركوا فضل العناية بالسجع، ولزموا سجية الطبع، فسجية الطبع أمكن في العقول، وهي كذلك أبعد عن القلق، وأوضح للمراد، وأفضل عند ذوي التحصيل، وأسلم من التفاوت، وأكشف عن الأغراض" (49). ومن قوله "معنى شريف، ولفظ شريف" نعرف أن الجرجاني أن المزية عنده قَسَمَهَا ما بين اللفظ والمعنى، فكما أن للمعنى شرف في ذاته، فإن اللفظ ذو قيمة وشرف، وهذه المزية تتبين عند الضم، فإنه لا يُتَصَوَّرُ المعنى إلا واللفظ معه والعكس صحيح، ففي الكلام لا بد من دال ومدلول، واللغة كلها قائمة على الدال والمدلول، فالألفاظ هي الدال، والمعنى هي المدلول. ويؤكد الجرجاني أن اللفظ يُسْتَحْسَن ولا يجوز إغفاله، ويجب أن يكون اللفظ متوائماً ومنسجماً مع الألفاظ التي قبله، والألفاظ التي بعده، وهذا ما يسمى بالنظم، حيث يقول الجرجاني: "ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي يكون بها الكلم إخباراً ونهيّاً واستخباراً وتَعْجَباً، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة" (50).

فالجرجاني يجعل المزية للمعاني مع عدم إغفال الألفاظ، لأن البيان لا يقوم إلا بهما معاً، لا باللفظ وحده، ويقول في هذا الباب: "والألفاظ لا تُفِيدُ حتى تُؤْلَفَ ضرباً خاصاً من التأليف، ويُعَمَدُ بها إلى وجهٍ دون وجه من التركيب والترتيب" (51). ومعنى ذلك أنك لو أتيت ببيت من الشعر، أو نص من النثر، قد نُظِمَ وأُحْكِمَ نظمه، وجئت أنت وأعدت ترتيب كلماته المسبوكة

بشكل جيد، لما أدى المعنى الذي كان يؤديه سابقا، ولخرج من مقام الفصاحة والبيان إلى مقام الفساد والهذيان، وبنفس الوقت لا يمكن لك أن تنسب هذا النص المعاد ترتيب كلماته إلى صاحبه الأول، لأنك غيرت فيه، فتكون قد أخرجته عن معناه، وعما أراده كاتبه أيضا، واستحسان اللفظ عند الجرجاني يكون بشرط أن يكون من الألفاظ التي يعرفها الناس ويتداولونها فيما بينهم، وبشرط أن لا يكون وحشيا ولا غريبا، وأن يكون من الفصحى لا من العامية، وأن يكون ذا قيمة، لا ذا سخافة، فيمكن أن يكون لفظ لكنه غير دال على شيء ذا قيمة فيكون سخيفا.

الرفع الثالث: الألفاظ لا تُفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة

وإنَّ الدارس في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ، ليجد أنه قد قال: "فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تُفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمة مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ" (52). ونرى وكأن الشيخ يلمح إلى أن المزية التي يمكن أن تتوفر في الألفاظ لا تُدرك من الجميع، بل لها أصحابها، وإذا جعلت في تركيب معين، فالقارئ يمكن أن يدرك الحسن من الألفاظ ومزيتها في ذات التركيب، وبالنظر إلى موقعها التي أدت فيه معنى خاص، ونراه يؤكد مرة بعد مرة أنه لا يمكن تحقيق مزية الألفاظ لوحدها إلا إذا نظمت وكانت في سياق مفهوم، وهو بذلك لا يقلل من شأن الألفاظ، ولكنه ينحاز إلى المعنى الذي هو الأساس لوجود الألفاظ، فإذا انعدم وجود المعنى، فلن يكون هناك ألفاظ، فالإنسان لا يتكلم إلا إذا تحقق معنى معين في نفسه، فإذا تحقق ذلك المعنى انطلق لسانه بالألفاظ، فكانت الألفاظ في هذه الحالة خدماً للمعنى، ومما أكد عليه الجرجاني أن الألفاظ يمكن أن نراها حسنة رصينة أدت المعنى المرجو منها، لكنها في مكان آخر ذاتها لم تؤدي ذلك المعنى، ولم يظهر عليها الحسن ولا جودة الصياغة، فالمزينة والجودة إنما تظهر بحسن النظم، وحسن النظم يظهر أيضا ليس باللفظ المفرد فقط، وإنما كذلك بالألفاظ المجاورة، التي قبله والألفاظ التي بعده، فذات اللفظ كما أشرنا يؤدي معنى مفيد في مكان، ولا يؤديه في مكان آخر، فالكاتب أو صاحب العمل الفني مثلا، هو من يستطيع أن يجعل ألفاظه حسنة بأن يتخيرها، ويتخير ما حولها من

ألفاظ، وحسن اختيار هذه الألفاظ يولد النظم الجيد، ولا ينكر الشيخ أن بعض الألفاظ لها شرفها أينما وجدت، فبعض الألفاظ لا ينفك الحسن والشرف عنها، وذلك لجودتها، وحسن سبكها، بحيث لو أراد أحد الاتيان بمعنى يؤديه ذلك المعنى لما أداه، كالقرآن الكريم والله المثل الأعلى، كل كلمة، وكل حرف مقصود لذاته، ولا يمكن أن يؤدي نفس المعنى أي كلمة لو وضعت مكان أخرى، فكلمة الوفاة مثلا مقصودة لذاتها، وكذلك كلمة الموت مقصودة لذاتها، وكلمتي السماع والاستماع، ويعملون ويفعلون، وغيرها مما ورد في كتاب الله كل مقصود لذاته، فهذه الكلمات معجزة في موقعها، يقول الشيخ: "من الكلام ما هو شريف في جوهره، كالذهب الإبريز الذي تختلف عليه الصور وتتعاقد عليه الصناعات، وجعل المعول عليه في ذاته وإن كان التصوير قد يزيد في قيمته، ويرفع في قدره، ومنه ما هو كالمصنوعات العجيبة من مواد غير شريفة قيمتها في الصنعة، فإذا سلب حُسْنُها المكتسب بالصنعة، فلم يبق إلا المادة العارية سقطت فضيلتها، وعادت إلى دقة أصلها" (53). فالشيخ يُدَلِّلُ بحديثه هذا أن المزية التي تكون باللفظ والكلمة، هي بأن تكون هذه اللفظة أو هذه الكلمة سليمة خالية من التعقيد غير ثقيلة على اللسان، ويرد قائل في موضع آخر: "فأعلمك أن فضل الشعر بلفظه لا بمعناه، وأنه إذا عدم الحسن في لفظه ونظمه لم يستحق هذا الاسم بالحقيقة" (54). فالقارئ هنا يظن أن الشيخ تحول عن رأيه وجعل المزية للفظ لا للمعنى، وهذا ظاهر حديثه، لكن في الحقيقة أن الشعر له خصوصية، فالشعر أول ما يلاقي السامع، ويكأنه يقول: أن ألفاظ الشاعر لا تقل أهمية عن معانيه، فيجب أن تكون ألفاظه جذابة حتى تعبر عن معانيه وأحاسيسه ومشاعره. فالشاعر يستخدم في شعره أنواعا شتى من كنايات واستعارات وتشبيهات، وكل هذا يفيد في نظمه وفي حسن ألفاظه، يقول الشيخ: "اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم قسمين: قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ، [وهو هنا يجعل الاستعارة هي اللفظ ذاته]، وقسم يُعزى ذلك إلى النظم، فالقسم الأول الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حد الاستعارة، وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ الظاهر" (55).

والشيخ عبد القاهر الجرجاني دائما نراه يؤكد أن المزية السابقة هي للمعاني، فالمعاني دائما هي السابقة في النفس، والألفاظ تأتي من بعدها، ومما ينبغي الإشارة إليه، أن الجرجاني جعل المعاني

هي الأسبق في النفس، لكن الجرجاني بنفس الوقت لم يغيب عنه أن الألفاظ هي الأسبق في النطق، فيقول في ذلك: "إن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في موقعها، فإذا وجب المعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق" (56)، ونرى أنه يقول: أن المعنى ليس مجرد فكرة أو تصور ذهني عابر، لا، بل إن المعاني صورة متجددة في ذهن الإنسان، وهي تقبل التأويل، والتأويل هنا يأتي بمعنى المجاز، فالجرجاني يغوص بالمعنى، وبمعنى المعنى، أي ما وراء السطور، فالنص الذي نراه أمامنا ينقسم من حيث الدلالة إلى قسمين، فعندنا ظاهر النص، وهو ما يُقال عنه: منطوق النص، أي الذي ننطقه، وهو الظاهر للعيان أمام الجميع، وهناك مفهوم النص، وهو المعنى الحقيقي المراد من وراء هذا النص، وهذا لا يدرك إلا أصحاب الأدب والذوق الرفيع، وفي هذا يقول الجرجاني: "كلُّ صوتٍ تَمَثَّلَهُ المتكلمون بالعربية مثلوا معه المعنى الذي وراءه" (57).

الجرجاني لا يفصل بين اللفظ والمعنى، وهو ما يؤكد عليه مرة بعد مرة، ولكنه وقف إلى جانب المعنى، لأن المعنى هو المقصود، واللفظ لا يقل أهمية عنه، ومع هذا فقد وضع الجرجاني أسساً وقواعد للفظ حتى يكون مستحسناً، ومن أهمها أن يكون هذا اللفظ موافقاً ومطابقاً للنحو ومعانيه وقواعده، فاللفظ يكون تابعاً للمعنى وخادماً له وذلك يظهر من خلال النظم في الكلام، وللأسف فإنه يظهر للبعض أن الجرجاني يُغفل اللفظ، وهذا كلام غير صحيح، هو يجعل له أهمية، لكن الأهمية العظمى للمعنى، ومن ذلك ما ذكرناه سابقاً أنه يجعل المزية للفظ موجودة إذا كان موافقاً لأصول النحو وقواعده، وإذا توافقت مع ما قبله، ومع ما بعده من الألفاظ، والجرجاني في هذا لم يجعل مزية اللفظ من حيث النحو وما حوله من الألفاظ فقط، وإنما تجاوز ذلك إلى للمعاني الأخرى التي يؤديها المعنى، كالاستعارات، والكنائيات، والتشبيهات، وغيرها المحسنات البديعية والمعاني، فالألفاظ إن كانت جيدة لا يمكن لها أن تنفصل عن المعاني، فهو يشير أيضاً أن الألفاظ تُحسُّ عند ترتيبها بالنفس قبل النطق بها، فإذا نطق بها ظهرت بمستوى صوتي مُرتَّب يجذب الأسماع والقلوب، وكان منظوماً بشكل جيد، وفي هذا يقول الجرجاني: "وأنت إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدوم المعاني، وتابعة لها، ولا حقة بها،

وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها بالنطق" (58). ويقول الجرجاني أيضا لمن جعل الفصاحة ونسبها للفظ: "إن الفصاحة تكون في المعنى أن المزيّة التي من أجلها استحق اللفظ الوصف بأنه فصيح عائد في الحقيقة إلى معناه، ولو قيل: إنها تكون فيه دون معناه لكان إذا قلنا في اللفظة: إنها فصيحة، أن تكون تلك الفصاحة واجبة لها بكل حال، ومعلوم أن الأمر بخلاف ذلك، فإننا نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع، ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع، وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير، وإنما كان كذلك لأن المزيّة التي من أجلها نصف اللفظ في شأننا هذا بأنه فصيح، مزيّة تحدث من بعد أن لا تكون، وتظهر في الكلم من بعد أن يدخلها النظم، وهذا شيء إن أنت طلبته فيها وقد جئت بها أفرادا لم ترم فيها نظما ولم تحث لها تأليفا طلبت محالا" (59).

ذكرنا سابقا أن الجرجاني يشير إلى أن الاستعارات والتشبيهات والكنائيات، إنما هي من قبيل اللفظ، فهي ألفاظ في النهاية، صحيح أننا نراها وقد جيء بها لغرض ما، لكنها في النهاية ألفاظ، ومما يجد الإشارة إليه إلى أن الجرجاني يقول: أن اللفظ له مدلولان، المدلول الأول وهو ما هو ملفوظ، والذي يشترك في فهمه الجميع، والمدلول الآخر هو المدلول المراد، والمدلول المراد لا يدركه كل الناس، بل أصحاب الذوق الرفيع، وهو يفصل ما بينهما، فيقول: "ولا يغرنك قول الناس أنه قد أتى بالمعنى بعينه، وأخذ معنى كلامه فأفاده على وجه فإنه تسامح منهم، والمراد أنه أدى الغرض" (60). ثم يردف قائلا في موضع آخر: "فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصله البلغاء فكرا في الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها فباطل من الظن، ووهم يتخيل إلى من لا يوفى النظر في حقه، وكيف تكون مفكرا في نظم الألفاظ، وأنت لا تعقل لها أوصافا وأحوالا، إذا عرفت أن حقها أن تنتظم على وجه كذا..." (61).

فقرة الختامية

لقد أرسى عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم أساسا علميا لتحليل الخطاب العربي، حين جعل العلاقة بين النحو والدلالة جوهر الفهم البلاغي للنص. وتبرز أهمية هذه النظرية في كونها تدرس البلاغة من

منظور عقلي تركيبي، يجعل من السياق النحوي وموقع الكلمة في الجملة وتناسب التراكيب مع المقام عناصر حاسمة في إنتاج المعنى. فنظرية النظم لا تبحث عن الجمال في الزخرف، بل في مدى توافق الألفاظ مع معانيها، وفي انسجامها داخل البناء الكلي للجملة، بما يعكس قصد المتكلم وحكمة التركيب. وبهذا، تُعدّ نظرية النظم مدخلاً تأويلياً بليغاً لفهم أسرار البيان العربي، لا سيما في القرآن الكريم، حيث يظهر الإعجاز في أبسط التركيبات وأكثرها إحكاماً. كما أن هذه النظرية تمهد لنظرات لغوية وسميائية حديثة، جعلت من الجرجاني رائداً مبكراً في فهم البنية النصية، قبل أن تبلور مفاهيم البنيوية والسميائيات في الفكر الغربي بزمان طويل.

إنّ التأمل العميق في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني يكشف عن نضج فكري مبكر تجاوز حدود الزمان، إذ تُعدّ هذه النظرية من أوائل المحاولات المنهجية التي قاربت النص من منظور تركيبي وظيفي، وهو ما يتقاطع بوضوح مع ما جاءت به اللسانيات الحديثة والسميائيات البنيوية، لا سيما في أعمال دي سوسير، وهاليداى، وبارت. فكما تذهب اللسانيات إلى أن المعنى يتكوّن داخل البنية من خلال العلاقة بين العناصر اللغوية، فقد سبق الجرجاني إلى تأكيد أن المعنى لا ينشأ من الكلمات المفردة، بل من الطريقة التي تُنظّم بها داخل السياق. بل إنه يربط النحو بالدلالة ربطاً جوهرياً، ويجعل من التركيب اللغوي حاملاً للفكر وسبيلاً إلى استكشاف عمق البيان. أما على المستوى السيميائي، فقد قدّم الجرجاني تصوراً يمكن تأويله سيميائياً من حيث العلاقات بين العلامات، فالكلمة لا تكتسب دلالتها إلا بوصفها علامة مرتبطة بعلامات أخرى داخل النظام، وفق ما يسميه هو "النظم"، ويسميه علماء السيميائيات لاحقاً بـ"التركيب" أو "السينتاكس". وبهذا، يمكن القول إن نظرية النظم تُمثّل نواة سابقة لعلم النص وتحليل الخطاب، وتُجسّد وعياً لغوياً مبكراً بترابط البنية، ووظيفة السياق، ودينامية المعنى. إنّ عبد القاهر لم يؤسّس فقط لبلاغة عربية متماسكة، بل وضع معالم فكرٍ لغويّ قابل للتجدد، إذ تمتاز نظريته بمرونة تسمح بإعادة قراءتها في ضوء المناهج الحديثة، ما يجعل منها مرجعاً أصيلاً لفهم طبيعة اللغة بوصفها نسقاً دلالياً متكاملاً، تتداخل فيه المستويات الصوتية، والنحوية، والدلالية، في سبيل إنتاج الخطاب وتوجيه التأويل.

لقد حاولنا في هذه الدراسة جاهدين بيان معنى اللفظ والمعنى، وعلاقة كل منهما بالآخر، وأهمية كل منهما، وعلاقتهما بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، وأن الدارس لقضية اللفظ والمعنى لا بد له أن يتحدث عن نظرية النظم، والعكس كذلك من يدرس نظرية النظم، لا بد له من الحديث مطولاً عن اللفظ والمعنى، فالنظم لا يكون إلا باللفظ والمعنى معاً، ولقد رأينا أن هذه القضية قديمة جديدة، قبل الشيخ عبد القاهر الجرجاني، وفي عصره، ومن بعده، وحتى في أيامنا هذه، فجدلّية اللفظ والمعنى لا تنتهي، وذلك بسبب وجود علماء يجعلون المزيّة للفظ،

وآخرين يجعلون المزية للمعنى، ورأينا أن القدماء اختلفوا كثيرا في هذه القضية، وأن الشيخ الجرجاني كان يميل إلى كفة المعاني ويرجحها على كفة الألفاظ، ويقول أن أصل وجود اللفظ هو المعنى، ولو أن المعنى غير موجود لما وجد هذا اللفظ، فجعل المزية للمعنى لا للفظ، كما وأشار أن الألفاظ خدمٌ للمعاني، وأشار الشيخ إلى أن الألفاظ ليست صاحبة المكانة الأولى لنجاح العمل الأدبي، بل إن نجاحه يكون بالمعاني، وبنفس الوقت الجرجاني لم يغفل الألفاظ فهي مهمة، ولكنها لم ترق عنده لدرجة المعاني.

النتائج

وبعد هذه الدراسة المعمقة فإن الباحث يخلص إلى النتائج التالية:

1. أن قضية اللفظ والمعنى جدلية لا تنتهي، فكان الخلاف فيها من عصور سبقت الجرجاني، فتحدث فيها سيويوه، وابن جني وغيرهم، فلم يكن الجرجاني أول من تحدث فيها.
2. أن إشكالية اللفظ والمعنى ظهرت مبكرا، لكنها برزت في القرن الثاني الهجري، فقد جعل بعض البلاغيين والنقاد الشأن للألفاظ في تحقيق البلاغة في الكلام، بينما خالفهم بذلك الشيخ الجرجاني، عندها ظهر الخلاف بين العلماء في القضية اللفظ والمعنى، واختلفوا في ترجيحاتهم في هذه القضية.
3. لقد حازت قضية اللفظ والمعنى على اهتمام كثير من العلماء والباحثين، فمنهم من جعل المزية للفظ، ومنهم من جعل المزية للمعنى، ومنهم من ساوى بينهما، فجعل المزية لكليهما، ومنهم من جمع وحاول التوفيق بينهما، والشيخ عبد القاهر الجرجاني جعل المزية للمعاني على حساب الألفاظ، وبل وأشار أن الألفاظ إنما هي خدم للمعاني، فإذا فقد المعنى فلا قيمة للألفاظ.
4. الجرجاني ومع أنه جعل المزية للمعاني على حساب الألفاظ، إلا أنه لم يغفل الألفاظ نهائيا، بل وجعل لها أهمية، وخاصة في النظم، ولكنه ركز على

أن تكون هذه الألفاظ متوافقة مع ما حولها من الألفاظ، ومع التي قبلها ومع التي بعدها، حتى يكون النظم جيدا.

5. نجد أن هناك عدد من العلماء من رَجَّح كفة الألفاظ، ومنهم من رَجَّح كفة المعاني، ولكل أسبابه المقنعة من وجهة نظره، فهم أرباب اللغة، ومن أجمل الآراء في هذه المسألة رأي ابن رشيقي القيرواني (456هـ)، وفي كتابه (العمدة)، ورأيه غاية في الروعة، حيث اعتبر الألفاظ كالجسد وروحه المعنى، وأن ارتباطهما مع بعضهما لا ينفك أبدا، فإذا وجد أحدهما لا بد من وجود الآخر، وإذا انتفى أحدهما لا بد من انتفاء الآخر، فهما بنسبة متساوية من الأهمية، ولا يمكن إغفال أهميتهما معا.

6. أن الجاحظ هو أول من تكلم في قضية اللفظ والمعنى بشكل واضح، وهو أول من رجح بينهما، أما من كان قبله، فكانوا قد ذكروا هذه القضايا وذكروا أهميتها دون ترجيح بين الطرفين، وهذا ما أشار إليه الباحث علي العمادي، على حسب ما توصل إليه في كتابه الموسوم قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية.

7. أن جلَّ العلماء المعاصرين يحاولون إبراز العلاقة الوطيدة، والعلاقة العميقة الكبيرة ما بين اللفظ والمعنى، وفي الحقيقة وما يميل له القلب أن المزية لكليهما، لا لأحدهما على حساب الآخر، فلا يُتَصَوَّر وجود المعاني إلا إذا وجدت الألفاظ، وكذلك لا يُتَصَوَّر وجود الألفاظ إلا إذا وجدت الألفاظ، فهما وجهان لعملة واحدة، وهذا لا يعني أنهما شيء واحد، بل لكلٍ منهما أهميته البالغة في أي عمل أدبي.

الهوامش:

(1) أرسطو طاليس، كتاب الخطابة المترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بدوي، دار القلم للنشر والتوزيع، لبنان- بيروت، الجزء الثالث، ص 15.

(2) طبانة، أحمد بدوي، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، مصر- القاهرة، ص 139، 138.

(3) كربية، كريمة محمد، جامعة سلمان بن عبد العزيز، قضية اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم، مجلة مركز دراسات الكوفة، مجلة فصلية محكمة، ص 20.

- (4) <https://islamstory.com/ar/artical/3408835/%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%87%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B1%D8%AC%D8%A7%D9%86%D9%8A>
- (5) ابن منظور، محمد بن مكرم، معجم لسان العرب، طبعة دار المعارف، مصر - القاهرة، 2003م، مادة (ل ف ظ).
- (6) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الجيل، لبنان - بيروت، الجزء الثاني، باب الظاء، فصل الكاف واللام، ص 413.
- (7) أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، الناشر مكتبة الإنجلو المصرية، مصر - القاهرة، الطبعة الرابعة، 1980، ص 35.
- (8) ابن فارس، أبو الحسن، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب، مصر - القاهرة، ط 2، 1366هـ، 455.
- (9) ابن منظور، محمد بن مكرم، معجم لسان العرب، مادة (ع ن ي).
- (10) الكوفي، أبو البقاء، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، ط 2، 1993.
- (11) عبد العالي، عز الدين أحمد، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراته، ليبيا، المجلد الثاني، العدد السادس ديسمبر 2016م، ص 143+144.
- (12) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الجزء الرابع، باب الميم، فصل النون، ص 182.
- (13) الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، من منشورات دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، مادة (ن ظ م)، ص 496.
- (14) أبو موسى، محمد حسين، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، دار الفكر العربي، مصر - القاهرة، الطبعة الثانية، ص 236.
- (15) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، مكتبة القاهرة للتوزيع والنشر والطباعة، مصر - القاهرة، الطبعة الأولى، ص 325.
- (16) عمار، أحمد سيد، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، ص 167.
- (17) ابن منظور، محمد بن مكرم، معجم لسان العرب، مادة (م ز ي).
- (18) ابن فارس، أبو الحسن، مقاييس اللغة، ج 5، ص 289.
- (19) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق محمد باسل السود، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ج 2، 1998، ص 236.
- (20) بوزيدي، نعيمة، قضية اللفظ والمعنى عند الجرجاني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، جامعة البليدة، ص 6.
- (21) سبيويه، الكتاب، ج 1، ص 24، نقلا عن زيد الخير مبروك، ثنائية اللفظ والمعنى عند البلاغيين وعلماء الدلالة، مجلة الآداب واللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، العدد الثالث، ديسمبر 2004، ص 133.
- (22) ابن جني، الخصائص، ج 2، ص 152، نقلا المرجع السابق، ص 133.
- (23) زيد الخير، مبروك، ثنائية اللفظ والمعنى عند البلاغاء وعلماء الدلالة، ص 134.
- (24) بوزيدي، قضية اللفظ والمعنى عند الجرجاني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص 6-8.
- (25) الفيرواني، ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر وأدبه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل، لبنان - بيروت، ط 4، ج 1، 1972، ص 124-127.
- (26) منقر، عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا - دمشق 2001، ص 162-163.
- (27) عبد العالي، عز الدين أحمد، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراته، ليبيا، المجلد الثاني، العدد السادس ديسمبر 2016م، ص 164+165.
- (28) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 255.
- (29) ابن جني، الخصائص، ص 535، 534.
- (30) عبد العالي، المجلة العلمية لكلية التربية، ص 139.
- (31) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، تحقيق محمد هارون، دار الجيل، لبنان - بيروت، ط 1، ج 4، 1991، ص 262.
- (32) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مصر - القاهرة، ط 5، ج 3، 1985، ص 131+132.
- (33) الجاحظ، البيان والتبيين، ص 44.
- (34) الجاحظ، البيان والتبيين، ص 212.
- (35) رسائل الجاحظ، ج 3، ص 117.

- (36) عتيق، عبد العزيز، علم المعاني في البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط 2003، ص 10+11.
- (37) الدينوري، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الحديث، مصر - القاهرة، الطبعة الرابعة، ج 1، ص 64-69.
- (38) المرجع السابق: ص 65، 67، 69.
- (39) انظر: العمادي، علي، قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلغة العربية، أميرة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر - القاهرة، ط 1، 1999، ص 185.
- (40) الداية، فايز، علم الدلالة العربي، ص 39، 40.
- (41) الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، إحصاء العلوم، تحقيق وتعليق وتقديم د عثمان أمين، دار الفكر العربي، مصر - القاهرة، ط 2، 1949، ص 159.
- (42) صليحة، جلاب، إشكالية اللفظ والمعنى عند اللغويين العرب القدامى، جامعة يحي فارس - المدينة، بحوث العدد 12، الجزء الأول، 2018، ص 78، 79.
- (43) القيرواني، العمدة في صناعة الشعر وأدبه ونقده، ص 27.
- (44) العسكري، أبي هلال، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر - القاهرة، الطبعة الرابعة 1985م، ص 167.
- (45) الجاحظ، البيان والتبيين، ص 136.
- (46) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق علي البجاوي، ومحمد إبراهيم، ص 55.
- (47) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر - القاهرة، ص 2.
- (48) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 6، 5.
- (49) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 8.
- (50) الجرجاني، عبد القاهر، دلالات الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر - القاهرة، ط 5، 2004، ص 44.
- (51) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 4.
- (52) الجرجاني، دلالات الإعجاز، ص 44.
- (53) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 18، 19.
- (54) الجرجاني، دلالات الإعجاز، ص 197، 198.
- (55) الجرجاني، دلالات الإعجاز، ص 329.
- (56) الجرجاني، دلالات الإعجاز، ص 68.
- (57) دهمان، أحمد علي، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار طلاس، ط 1، 1996، ص 71.
- (58) الجرجاني، دلالات الإعجاز، ص 54.
- (59) الجرجاني، دلالات الإعجاز، ص 400، 401.
- (60) الجرجاني، دلالات الإعجاز، ص 202.
- (61) الجرجاني، دلالات الإعجاز، ص 43.